أثر معاني القرآن للفَرَّاء في الدلالة السياقية للألفاظ في معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج

أ.م.د.محمد جعفر العارضي & م.باحث:علي كريم حميد العبيدي

كلية الآداب / جامعة القادسية

الخلاصة

مما تقدم يمكن أنَّ نقول أنّه قد تدل كلمة على معنى غيرالمعنى المعجمي الذي وضعت له والسياق هو الذي يكشف ذلك المعنى ،أي هناك وضع لغوي ووضع بلحاظ الإستعمال ،لكنّ هناك رابطاً بين المعنيين،وهذا مايعرف بعلم الدلالة، مثلاًفالفتح في أصل وضعه،هوفتح ماكان مغلقاً ،لكن أهل عمان يسمّون القاضي الفاتح،ولايخفى مابين اللفظتين من ترابط ،فاللفظتان مترابطتان في علاقة الفتح ،وهكذا بقية الالفاظ،وهذه الاختلافات قليلة ايضاً،وهي موجودة عند الفَرَّاء في (كتابه معاني القرآن)، وتابعه الزّجَّاج وهذ يؤكد لنا مرة أُخرى قدم اللغة العربية واصالتها.

مدخل

علم الدلالة هو: علم المعنى أو نظرية المعاني ، ويعد غاية الدراسات الصوتية والصرفية والنحوية وإنَّ لعلم الدلالة علاقة وطيدة بها ، إذ لا يكاد علم يخلو من الجوانب الدلالية فيه(١) .

ويطلق عليه أيضا بعض الباحثين علم المعنى ، وقد تتفق تصرفات علم الدلالة على أنَّه علم لغوي حديث يبحث في الدلالة اللغوية ويلتزم بها في حدود النظام اللغوي والعلامات اللغوية من دون سواها ، وأنِّ مجاله دراسة المعنى اللغوي على صعيد المفردات والتراكيب(٢) .

وإنِّ هناك علاقة بين المدلولين اللغوي والاصطلاحي ، وهو أمر معروف في مجال المعاني اللغوية والاصطلاحية ، إذ ترتكز الثانية على الأولى وتستمد منها مقوماتها ، فالحديث عن المصطلح يدعوإلى تحديد المفهوم اللغوي الأول لهذا المصطلح ، لأنِّ الوضع اللغوي الذي تصالح عليه أهل اللغة قديما ، يلقي بضلاله الدلالية على المعنى العلمي المجرد في الدرس اللساني الحديث . ((فالمصطلح يتشكل مع نمو الاهتمام في أبواب العلم وبالاحتكاك الثقافي))(٣) .

فإنَّ الوصول إلى الطريق والهداية إليه في اللغة (٤)،يقابلها في الاصطلاح الوصول إلى المعنى . وللسياق أهمية كبيرة في تحديد معنى الكلمة، فالكلمة المفردةلها أكثر من معنى والسياق يحدد هذا المعنى فهو يعطي الكلمة ويحدد دلالتها.

وإنَّ قدرة الكلمة على التعبير عن مدلولات متعددة إنّما هي خاصة من الخواص الأساسية للكلام الإنساني. وإنَّ نظرة واحدة في رأي معجم من معجمات اللغة لتعطينا فكرة عن كثرة ورود هذه الظاهرة (٥).

والسياق هو الذي يحدد إن كانت الكلمة مستعملة الاستعمال الحقيقي، أو المجازي. ويحدد إن كانت الكلمة من الألفاظ المشتركة، أو الألفاظ المترادفة ويحدد زمان اللفظة ومكانها فلكل زمان دلالات ألفاظ مختلفة، أي يحدد الأصناف الدلالية

ولكل مكان دلالاتألفاظ فاستعمالها من خلال السياق يبين لنا عصرها ومكانها. وكذلك يحدد لنا صيغة الكلمة فالكلمة المجردة يمكن أن تكون بصيغة المفرد، أو الجمع لكن السياق هو الذي يعطيها الدلالة النهائية(٦)، أي أنَّ الدرس الدلالي الحديث يشير إلى دلالة أخرى تتحدد على وفق موقع الصيغة من السياق ، وتركيب عناصر الجملة وترتيبها(٧).ومن الألفاظ التي تمثّل فيها أثر الفَرَّاء في توجيه دلالتها السياقية عند الزّجَّاج:

أولاً: (بَوَرَ).

يذكر ابن فارس أنَّ ((البور)) لها معنيان : أحدهما هَلَاك الشيء ، وما يشبهُ من تعطله وخلّوة ، والآخر ابتلاء الشيء وامتحانه(٨) .

وذلك في قوله تعالى: ((بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا))(٩).

وقد اعتمدها الفَرَّاء بمعنى الفاسد إذ قال : ((البُور في لغة أَزْدعُمانَ: الفاسد، وكنتم قوما بورا، قوما فاسدين، والبور في كلام العرب: لاشيء . يقال: أصبَحتْ أعمالهم بورا، ومساكنهم قبورا))(١٠).

وتابعه الزّجَّاج فقد جاء في كتابه في تفسير الآيةالمباركة: ((أي هالكين عند اللَّهِ – عزَّ وجلَّ – فاسِدين في عِلْمِه))(١١).

فالفَرَّاء نسب هذا المعنى : إلى لغة أزد عمان ، والأخفش نقل عن بعضهم أنَّها لغة(١٢).**(**ولما كان فرط الكساد يؤدي إلى الفساد كما قيل كسد حتى فسد – عبر بالبوار عن الهلاك**)**(١٣).

ثانياً : (جَرَمَ).

فالجَرْمُ : القَطعُ ، ويقال لصِرَام النَّخَل الجَرَام ... ، وجَرَم ، كَسَب(١٤) .

قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَاناً وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ

انَّ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ انَّ تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ انَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)) (١٥) .

قال الفَرَّاء : ((وقوله: (وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ) قرأها يحيى بن وثّاب والأعمش: ولا يُجْرِمنَّكم، من أجرمت، وكلام العرب وقراءة القرّاء (يَجرِمنكم) بفتح الياء. جاء التفسير: ولا يحملنَّكم بغض قوم. قال الفَرَّاء: وسمعت العرب تقول: فُلان جَرِيمة أهله، يريدون: كاسب لأهله، وخرج يجرِمهم: يكسب لهم. والمعنى فيها متقارب...))(١٦) .

من خلال كلام الفَرَّاء يَتَبَيَّنُ أنَّه حمل الفعل ((جَرَمَ)) على معنى الفعل ((كسب)) وتابعه الزّجَّاجفي ذلك : أي لا يحَمْلِنَّكم بغض قومٍ ، ... ، فالمعنى لا يَكْسِبَنَّكُمْ بغض قوم أنْ تعتدوا ، ... ، يُقالُ (فلان جريمة أهله) أي هو كاسبهم، وقيل في التفسير : (لا يحملنكم بغض قوم، والمعنى واحد)(١٧).

والملاحظ أنَّ الفَرَّاء قد أشار إلى المعنى في ضوء السياق ، فذهب إلى الدلالة على الكسب للإحاطة بالمعنى وما يترتب على هذا الحدث . واستضاء بذلك الزّجَّاج وأنّه تابع الفَرَّاء وأخذ برأيه فضلاً عن اعتماده أغلب عبارات الفَرَّاء دون أنْ يُصَرِّح بذلك ، مما يجعل الأثرَ أكثر وضوحاً .

ثالثاً : (حقَبَ).

ويعني في كلام العرب الحبس ، يقال : حَقب العام إذا احتبس مطره (١٨) ، وذكر الراغب أنَّ الحِقْبة مدَّة من الزمان مبهمة(١٩) .

قال تعالى : ((وإذ قال َمُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْأَمْضِيَ حُقُبًا))(٢٠).

وقد فسَّرها الفَرَّاء على أنَّها ((السنة)) إذ قال : ((الحُقُبُ في لغة قيس: سَنَة ، وَجَاء التفسير أنّه ثمانون سنة))(٢١).

وإلى هذا ذهب الزّجَّاج ، إذ قال : ((الحقبُ ثمانون سنةً))(٢٢) .

من ذلك نلحظ أنَّ هناك تقارباً بين معنى اللفظة وهو ((الحبس)) وبين التطور الدلالي الذي طرأ عليها في دلالتها على ((السنة)) واضح فالسنة حبس –أيضا– لأنَّها تحبس بين جنبيها الأيام والشهور ، وهذا المعنى على التخصيص الدلالي الذي يدفع إليه السياق .

رابعاً : (خَلَدَ) .

أقام ، وأخلَدَ أيضاً . ومنه جَنَّة الخُلْدِ ، ويقولون :رجلٌ مُخْلَدٌ ومُخْلِد ، إذا أبطأ عنه المشيب(٢٣)

قال تعالى : ((وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا و لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْتَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِين كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَص لَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُونَ))(٢٤) .

قال الفَرَّاء في تفسير الآية المباركة : ((ركن إليها وسكن ولغة يقال : خَلَد إلى الأرض بغير ألف وهي قليلة ويقال للرجل : إذا بقي سواد رأسه ولحيته : إنَّه مُخْلِد ، وإذا لم تسقط أسنانه قيل : إنّه لَمُخَلَّد))(٢٥) .

واستضاء بذلك الزّجَّاج إذ قال : ((معناه ولكنَّه سكن إلى الدنيا ، يقال : أخلد فلان إلى كذا وكذا ، وخَلَد إلى كذا وكذا ، وأخلد أكثر في العربية ، والمعنى أنَّه سكن إلى لذات الأرض))(٢٦) .

وفي هذا التوجيه الدلالي ركون إلى السياق ، ولاسيما عند الزّجَّاج إذ أضاف معنى اللذات .

خامساً : (رَجَا).

الرجاء من الأمَلِ : نَقِيض اليأس(٢٧).

قال تعالى : ((مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا))(٢٨).

وقد اعتمدها الفَرَّاء بمعنى الخوف ، جاء ذلك في تفسير الآية المباركة : ((لا تخافون لله عظمة))(٢٩).

وتابعه الزّجَّاج ، إذ قال في ذلك : ((قيل: مَا لكم لَا تَخَافُونَ ، لِلَّهِ عَظَمَةً، وقيل لا ترجون عاقبة، وحقيقته– واللَّه أعلم – مالكم لا ترجون عاقبة الإيمان فتوحدون الله وقد جعل لكم في أنفسكم آية تدل على توحيده من خلقه إياكم ...))(٣٠).

فالرجاء هو الأمل وقد اتسع المعنى الدلالي ليشمل الخوف . ولكن من النظرة الأولى يبدو أنَّ لا علاقة بين الرجاء والخوف ، لكن مع إمعان النظر تظهر العلاقة، لأنَّ من يرجو يلازمه الخوف من عدم تحقق ما يرجوه ، وهذا المعنى هو معنى سياقي ؛ ذلك بأنَّ اللفظة جاءت في سياق الترهيب .

سادساً : (فَتَح).

ذكر ابن فارس أنَّ الفتح يدل على خلاف الإغلاق ، والفتح : النصر والاظفار(٣١) .

قال تعالى : ((قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْد إِذ نَجَّانا اللَّهُ مِنْهَا وما يكون لَنَا أَن نَعُود فِيهَا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّه رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ))(٣٢).

لكنَّ الفَرَّاءأضافإليه معنى آخر هو القضاء إذ قال : ((يريد: اقض بيننا، وأهل عُمَان يسمون القاضي الفاتح والفتَاح))(٣٣).

وذهب الزّجَّاج المذهب نفسه إذ قال : ((أهل عُمان يسمُون القاضي الفاتح والفتاح. وجائز أنْ يكون افتح بيننا وبين قومنا بالحق، أي أظهر أمْرنَا حتى ينفتحما بيننا وبين قومنا وينكشف، فجائز أنْ يكون يسألون بهذا أنْ ينزل بقومهم من العذاب والهلكة ما يظهر به أنّ الحق مَعَهُمْ))(٣٤).

من ذلك نلحظ أنّ ثمة ترابطا بين المعنيين ، فالفتح – كما أشرت– فتح ما كان مغلقا ، والقضاء يستلزم إظهار الحق ، وإظهار الحق يستلزم حل العقد بين المتحاكمين وإظهار الصواب ، وإعطاء كل ذي حق حقه .

سابعاً : (فَرْدَس).

الفِردُوس بالكسر : الأودية التي تنبت ضروباً من النبت(٣٥) .

قال تعالى : ((الَّذِين يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُم فِيهَا خَالِدُونَ))(٣٦) .

((قال الكلبي : هو البستان في لغة الروم . قال الفَرَّاء : هو عربي أيضا العرب تسمي البستان فِرْدَوْسَ))(٣٧) .

وقد نقل الزّجَّاج كلامَ الفَرَّاء فقال : ((الفِرْدَوْسَ أصلَهُ رومي أُعْرِب وهو البستانُ كذلك جاء في التفسير ، وقد قيل إنَّ الفِرْدَوْسَ تعَرَفِهُ العرب ، وهذا قول الفَرَّاء ويسمى الموضع الذي فيه كرم فِرْدَوْساً))(٣٨) .

وعلى الرغم من أنَّ الفَرَّاء والزّجَّاج قد ركزا على اللفظة من حيث أصلها واستعمالها أهو عربي أم أعجمي؟ فقد أشارا إلى ما يمكن أن يكون دلالة سياقية تتمثل في الجنة وسر تسميتها بالفردوس في هذا السياق ، وذلك في الإشارة إلى الثمار وما يوجد في البستان حتى يسمى فردوساً .

وقال الطبري : ((يقول تعالى ذكره : الذين يَرِثُونَ البستان ذا الكَرم وهو الفِرْدَوْسَ عند العرب . وكان مجاهد يقول : هو بالرومية))(٣٩) .

وقال القرطبي : ((والفِرْدَوْسَ : ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها))(٤٠) .

ويفهم من هذا أنَّ الفِرْدَوْسَ يعني الرياض أو البساتين المليئة بالأشجار ، كثيرة الثمار وارفة الظلال .

نلاحظ أنَّ علماء اللغة قد اختلفوا في أصل الكلمة أعربية هي أم معربة من الرومية أو السريانية أو الحبشية فالفَرَّاء يقول عربية ، و وافقه غيره من العلماء(٤١) ويمكن أنْ نقول إنَّ الذين قالوا بهذا الرأي أخذوه من الفردسة بمعنى السعة .وقيل فيه إنَّه : الفِرْدَوْسَ البستان بالرومية . وقيل هي فارسية عُرِّبت ، وقيل حبشية وإنْ ثبت ذلك فهي وفاق بين اللغات . والعرب تعبر عن الكروم بالفراديس، وكرم مفردس أي معرش(٤٢) .

وقد تتبع الدكتور حلمي خليل أصل كلمة الفِرْدَوْسَ فقال ((وقد اختلف اللغويون العرب حول مصدر هذه اللفظة فاعتبرها أبو عُبَيْدة عربية الأصل لوقوعها في القرآن الكريم . بينما ذهب ابن سيدة إلى أنَّها بلسان الروم .

وقال الفَرَّاء إنَّها عبرية[٤٣] الأصل . واعتبرها الزّجَّاج رومية الأصل . أمَّا السيوطي فقال إنّها بالرومية . وقد اجمعوا على أنَّ معناها البستان أو الوادي الخصيب أو الحديقة . فإذا بحثنا عن لفظة الفِرْدَوْسَ وجدنا أنَّ اصلها في لغات إيران وهي أفيستا ((بايرديسا)) ثم دخلت إلى اليونانية Pavadeisos . والظاهر أنَّها انتقلت في الوقت نفسه إلى بعض اللغات السامية كالعبرية والسريالية . ففي العبرية نجد Pavdise بمعنى الجنة أو جنة عدن . وفي السريانية Pavdoies . ويرى البطريرك افرام أنَّها دخلت العربية عن طريق السريانية . ولكن من المعتمد أن تكون دخلت إلى العربية عن طريق اليونانية مباشرة ، وقد استعملها عدي بن زيد منذ العصر الجاهلي . ونطق بها القرآن الكريم))[٤٤] . ويقول عودة خليل أبو عودة : ((إنَّني أميل إلى اعتبار كلمة الفِرْدَوْسَ معربة عن اللغة الرومية أي اليونانية . وربما يُرجِّح هذا الرأي انتشار الكلمة على لسان أهل الشام أكثر من غيرهم . فهم يسمون البساتين الفراديس . بالإضافة إلى أنَّ ترتيب الكلمة ليس شائعاً في الاشتقاق العربي الاصيل))[٤٥] .

من خلال ما تقدم يمكن أن نقول إنَّ لكل كلمة وضعين ، وضع لغوي ، ووضع استعمالي ، وهذه الكلمة من خلال آراء العلماء السابقة يَتَبَيَّنُ أنَّها أعجمية ((غير عربية)) بلحاظ الوضع اللغوي ، استعملتها العرب أي اعتمدتها واصبحت دالة على شيء متعارف عليه في سياقاتها الاجتماعية قبل نزول القرآن الكريم ، وعندما نزل القرآن الكريم استعمل هذه الكلمات التي أصبَحت جزءاً من الواقع اللغوي العربي .

ويذكر خليل عمران المنصور محقق كتاب ((المعرب من الكلام الأعجمي للجواليقي)) : ((أنَّ استخدام هذه الكلمة في الشعر والقرآن الكريم ووفرة تصريفاتها[٤٦] اللغوية يؤكد أنَّها عربية . وأمَّا ما ورد من أنَّ أصلها يوناني فلا يعني أنَّ العرب أخذوها عن اليونان وقد يكون العكس هو الصحيح))[٤٧] .

ثامناً : (قَنَت).

وقَنَتُوا لله أي أطاعوه،ومنه القُنوتُ أي الطاعة ... ، والقُنُوتُ: الدعاء[٤٨] .

١- قال تعالى : ((وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَداً سُبْحَانَه بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ))[٤٩] .

قال الفَرَّاء : (((كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ...)، يريد مطيعون، وهذه خاصّة لأهل الطاعة ليست بعامّة))[٥٠].

وإنَّ الزَّجَّاج قد تعاطى مع رأي الفَرَّاء المتصل بالمعنى إذ قال في تفسير الآية المباركة : ((القانت في اللغة المُطِيعُ، وقال الفَرَّاء: (كل له قانتون) هذا خصوص إنَّمايعني به أهل الطاعة، والكلام يدل على خلاف ما قال، لأنَّ قوله:(مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) ، كل إحاطة وإنَّما تأويله: كل ما خلق اللَّه فيالسَّمَاوَات والأرض فيه أَثَرُ الصنْعَة فهو قانت للَّهِ والدليل على أنَّه مخلوق –والقانت في اللغة القائم أيضاً ألا ترىأنَّ القنوت إنَّما يُسَمَّى بِه من دَعا قائماًفي الصلاة قانتا، فالمعنى كل له قانت مقر بأنَّه خالقه، لأنَّ أكثر من يُخَالفليس بدفع أنَّه مخلوق وما كان غير ذلك فأثر الصنْعَةِ بيِّن فيه، فهو قانتعلى العموم، وإنّما القانت الداعي))[٥١].

نلحظ مما تقدم أنَّ الأثر ا تمثل في رد الزّجَّاجما ذهب اليه الفَرَّاء بخصوص دلالة (قانتون) إذ انتقل بها من الدلالة على الطاعة إلى الدلالة على الدعاء ،اعتماداً على استعمال (كل) في سياق الآية المباركة وما ذهب إليه الزّجَّاج كان جديرا بالقبول لأنَّ استعمال (كل) جاء للدلالة على معنى العموم، فهو أفاد من رأي الفَرَّاءولم يكتف به مع لحاظ أنَّ رأي الفَرَّاء تضمن اشارة سياقية تتماشى مع سياق رد اتخاذ الله سبحانه وتعالى للولد . وكذلك ما ذهب إليه الزّجَّاج لا يخرج عن أثر سياق الآية المباركة في إنكار اتخاذ الولد .

قال المراغي في تفسير قوله تعالى : ((كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ)) : ((أي ليس الامرُ كما زعموا ، بل جميع ما في السماواتِ والأرض ملك له قانت لعزته ، خاضع لسلطانَّه منقاد لإرادتهِ))[٥٢] .

ويذكر في هذا السياق ((أنَّ جميع ما في السمواتِ والارض ملك له قانت لعزته وجلاله أي خاضع لقهره مسخر لمشيئته ، ...))[٥٣]، ومعنى هذا أنَّه ((لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته، ويجوز أن يراد كل من جعلوا لله ولدا له قانتون، مطيعون، عابدون ، مقرون بالربوبية ، منكرون لما أضافوا إليهم))[٥٤] .

ومعنى هذا أنَّ الزّجَّاج قد فتح باب تعدد دلالة هذا المفهوم ما جعل المفسرين يتعاطون مع هذا التعدد فيما بعد .

تاسعاً : (كَنَد)

الكند في اللغة يدل على القطع ، وقد ورد في بعض اللغات يدل على الكفور للنعمة[٥٥] .

قال تعالى : ((إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ))[٥٦].

قال الفَرَّاء: ((قال الكلبي وزعم أنَّها في لغة كندة وحضرموت: ((لَكَنُود)) لَكفور بالنعمة.وقال الحسن: ((إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)) قال: لَوّام لربه يعد المسيئات، وينسى النعم))[٥٧].

وإلى هذا ذهب الزّجَّاج إذ قال في تفسير الآية المباركة : ((معناه لكفورٌ ، يعني بذلك الكافر))[٥٨] .

وغير خفية العلاقة بين أصل اللفظة ((القطع)) وبين الكفور بالنعمة ، فكان النعمة من خلق وبصر وسمع ومال هي الواصل بين العبد والخالق ، ومن عرف هذا استسلم لربه وشكر ، وشكر النعمة هي العبادة الخالصة لله ، ولكن الإنسان كان كفورا ، فيكفر بالنعم ويقطع الحبل الذي يصله بربه

عاشراً: (مَعَن)

الماعون : المعروف ، والمطر ، والماء ، وكل ما أنفقت به غيرها. الماعون اسم جامع لمنافع البيت [٥٩].

قوله تعالى : ((وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ))[٦٠] .

وقد ذكر الفَرَّاءأنَّ ((الماعون)) : المعروف كله حتى ذكر: القصعة، والقدر، والفأس. وقد روى عن آخرين أنَّ الماعون ((الزكاة)) ، ويذكر أنَّ بعض العرب يقول : الماعون : الماء[٦١] . ولم يشأ الفَرَّاء أن يحدد دلالة هذا اللفظ خشية تضيق الدلالة ، والأثر المترتب على ذلك .

وإلى هذا ذهب الزّجَّاج إذ قال في تفسير الآية المباركة : ((أي يمنعون ما فيه منفعة ، والماعون في الجاهلية ما فيه منفعة حتى الفأس والدلو والقدر والقدّاحةوكل ما انتفع به من قليل أو كثير.قال الأعشى[٦٢]:

بأَجْوَدَ منه بماعُونِه إذا ما سَمَاؤهم لم تَغِمْ

والماعون في الإسلام قيل هو الزكاة والطاعة ، قال الراعي :

قَوْمي على الإِسْلام لمَّا يَمْنَعُوا ماعُونَهُمْ ويُضَيِّعُوا التَّهْليلا))[٦٣]

والماعون مازال يستعمل في عاميتنا ويدل على منافع البيت ، وقد يكون معناه أوضح مما قالوه ، وهو اسم جامع للمنافع والله اعلم .

وقد ذكر القرطبي أنَّ ((الماعون)) فيه اثنا عشر قولاًوهو لا يختلف عمّا ذكره غيره[٦٤] . وقيل : هو ما لا يَحِلُّ مَنْعة ، كالماء والملح والنار ، لأنَّ عائشة رضوان الله عليها ، قالت : قلت : يا رسول الله ، ما الشيء الذي لا يحل منعة ؟ قال : الماء والنار والملح[٦٥] .

الحادي عشر : (يَأَس)

يعني قطع الرجاء أو انتفاء الطمع ، وهذا هو المعنى المعروف[٦٦].

قال تعالى : ((بَل للَّهِ الأَمْرُ جَمِيعاً أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ))[٦٧] . قال الفَرَّاء: ((قال المفسّرون: ييأس: يعلم. وهو في المعنى على تفسيرهم لأنَّ الله قد أوقع إلى المؤمنين أنَّه لو يشاء اللهُ لهدى الناسَ جميعاً فقال: أفلم ييأسوا عِلماً. يقول: يؤيسهم العلم، فكان فيهم العلم مضمرا كما تقول في الكلام: قد

يئِست منك أَلاّ تفلح عِلماً كأنَّك قلت: علِمته علماً.وقال الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال: ييأس في معنى يعلم لغة للنَخَع. قال الفَرَّاء: ولم نجدها في العربية إلاّ على ما فسّرت. وقول الشاعر:

حتى إذا يئِس الرماة وأرْسلُواغُضْفاً دواجِن قافلاً أعصَامُهَا

معناه حتى إذا يئِسوا من كل شيء ممّا يمكن إلاّ الذي ظهر لهم أرسلوا. فهو معنى حتى إذا علمُوا أَن ليس وجه إلاّ الذي رأوا أرسلوا. كان ما وراءه يأساً))[٦٨].

ويبدو أنَّ الفَرَّاء هنا يرجح أنْ يكون ورود يأس بمعنى علم ليس خاصاً بالنفع فقط .

وتابعه الزّجَّاج في ذلك إذ جاء في كتابه : ((قيل إنَّها لغة للنخع، يَيْأَس في معنى يَعْلَمُ ، وأنْشدوا

أَقُولُ لَهُمْ بالشِّعْبِ إذ يَيْسِرُونَني أَلَم تَيْأَسُوا أَني ابْنُ فارِسِ زَهْدَم

وقرئت: ((أفلم يتبين الذين آمنوا))[٦٩] ، وقال بعض أهل اللغة: أفلم يعلم الذين آمنوا علماً ييأسوا معه من أنْ يكون غير ما علموه.والقول عندي واللَّه أعلم أنَّ معناه: أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا من إيمانهؤلاء الذين وصفهم اللَّه بأنهم لا يؤمنون))[٧٠].

فالزّجَّاج هنا يذكر قولالفَرَّاء في أنَّ يأس بمعنى علم ، ويشير إلى قراءة ((يأس)) بمعنى ((يتبين)) التي تعزز ذلك المعنى ، وهي قراءة تفسيرية ، وينتهي إلى أنَّ ((ييأس)) على دلالتها المعروفة .

الهوامش

---

[١] ينظر : علم الدلالة ، آف آر بالمر : ٨ .

[٢] ينظر : الدلالة المعجمية والسياقية في كتب معاني القرآن : د. علاء عبدالأمير،٤٦ .

[٣] علم الدلالة العربي ،فايز الدايه: ٧٧ .

[٤]ينظر:العين(دلل)،الفراهيدي:٨/٨ ،مفردات ألفاظ القرآن الراغب الأصفهاني(دلل)،:١٧٣،لسان العرب ابن منظور (دلل):١١/(٢٤٧-٢٤٩)،تاج العروس الزبيدي(دلل):٢٨/(٤٩٦-٤٩٩).

[٥] ينظر : الألفاظ المعبرة عن الكلام في التعبير القرآني ، دراسة دلالية ، نبراس حسين مهاوش، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٥ : ٥ – ٦ .

[٦] ينظر : الدلالة المعجمية السياقية في كتب معاني القرآن : ١٢٦ .

[٧] ينظر : المصدر السابق : ١٢٦ .

[٨]مقاييس اللغة ابن فارس(بور) : ١ / ٣١٦ ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن (بور) : ١٥٢ .

[٩]الفتح : ١٢ .

[١٠]معاني القرآن، الفَرَّاء: ٢ / ٣٥٣ .

[١١]معاني القرآن وإعرابه الزَّجَّاج : ٥ / ٢٣ .

(١٢) ينظر : لغات القبائل في كتاب معاني القرآن للفَرَّاء، عبد الجبار أحمد صالح ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ٢٠٠٣ : ١٥١ .

(١٣) **المفردات في غريب القرآن ،الراغب الأصبهاني: ٨٥/١.**

(١٤) مقاييس اللغة (جرم) :١ / ٤٤٥ – ٤٤٦ .

(١٥) المائدة : ٢ .

(١٦) معاني القرآن : ١ / ٢٠٦ .

(١٧) ينظر : معاني القرآن و إعرابه : ٢/ ١٤٣ .

(١٨) ينظر : مقاييس اللغة (حقب): ٢ / ٨٩ .

(١٩) مفردات ألفاظ القرآن (حقب) : ٢٤٨ .

(٢٠) الكهف : ٦٠ .

(٢١) معاني القرآن : ٢ / ٧٥ .

(٢٢) معاني القرآنوإعرابه : ٣ / ٢٩٩ .

(٢٣) مقاييس اللغة : ٢ / ٢٠٧ .

(٢٤) الأعراف : ١٧٦ .

(٢٥) معاني القرآن : ١ / ٢٦٨ .

(٢٦) معاني القرآن وإعرابه : ٢ / ٣٩١ .

(٢٧) لسان العرب (رجا) : ١٤ / ٣٠٩ .

(٢٨) نوح : ١٣ .

(٢٩) معاني القرآن : ٣ / ٨٥ .

(٣٠) معاني القرآنوإعرابه : ٥ / ٢٩٩ .

(٣١) مقاييس اللغة (فتح) : ٤ / ٤٦٩ ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن (فتح) : ٦٢١.

(٣٢) الأعراف : ٨٩ .

(٣٣) معاني القرآن : ١ / ٢٥٩ .

(٣٤) معاني القرآنوإعرابه : ٢ / ٣٥٧ – ٣٥٨ .

(٣٥) القاموس المحيط ،الفيروز آبادي (فردس) : ٢ / ٣٢٩ .

(٣٦) المؤمنون : ١١ .

(٣٧) معاني القرآن : ٢ / ١٣٧ .

(٣٨) معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٣١٤ – ٣١٥ ،٤ / ٨ .

(٣٩) جامع البيان ،الطبري : ١٧ / ١٦ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن،القرطبي : ١٥ / ١٧ .

(٤٠) الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ١٧ ، التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم دراسة دلالية ، عودة خليل : ٤٠٤ .

(٤١) ينظر : التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : ٤٠٤ .

(٤٢) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ٣ / ٣١٤ – ٣١٤ ، الجامع لأحكام القرآن : ١٥ / ١٧ ، التطور الدلالي : ٤٠٤ .

(٤٣) ولم أجد ذلك في كتابه .

(٤٤) المولد دراسة في نحو اللغة العربية بعد الإسلام ، د. حلمي خليل : ١٥٦ – ١٥٧ .

(٤٥) التطور الدلالي بين لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن الكريم : ٤٠٥ .

(٤٦) لسان العرب (فردس) :٦/١٦٣ – ١٦٤ .

(٤٧) المعرب من الكلام الأعجمي ، الجواليقي : ١١٩ – ١٢٠ .

(٤٨) العين (قنت) :١ / ٣٩٣ .

(٤٩) البقرة : ١١٦ .

(٥٠) معاني القرآن : ١/ ٥٩ .

(٥١) معاني القرآن وإعرابه : ١ / ١٩٨ .

(٥٢) تفسير المراغي ، أحمد مصطفى المراغي : ١ / ١٩١ ، نظم الدرر في تناسب الايات والسور ابن الأثير : ٢ / ١٢٧ .

(٥٣) تفسير المنار ،محمد رشيد رضا : ١ / ٤٣٦ .

(٥٤) الكشاف، الزمخشري : ١ / ٣١٤ ، وينظر : الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق ،د عائشة عبد الرحمن : ٤٠٥ .

(٥٥) ينظر : مقاييس اللغة (كند): ٥ / ١٤٠ ، وينظر : مفردات ألفاظ القرآن (كند) : ٧٢٧ .

(٥٦) العاديات : ٦ .

(٥٧) معاني القرآن : ٣ / ١٧٥ .

(٥٨) معاني القرآنوإعرابه : ٥ / ٣٥٤ ، وينظر : الإعجاز البياني للقرآن : ٤٣٦ .

(٥٩) القاموس المحيط (معن) : ٤ / ٢٣٨ .

(٦٠) الماعون : ٧ .

(٦١) ينظر : معاني القرآن : ٣ / ١٨٣ .

(٦٢) ديوانه : ١٧٠ .

(٦٣) معاني القرآنوإعرابه : ٥ / ٣٦٨ ، ديوان الراعي : ٢٠٦ .

(٦٤) الجامع لأحكامالقرآن : ٢٢ / ٥١٤ .

(٦٥) الجامع لأحكامالقرآن : ٢٢ / ٥١٧ .

(٦٦) مقاييس اللغة (يأس) : ٦ / ١٥٣ وينظر : مفردات ألفاظ القرآن (يأس) : ٨٩٢ .

(٦٧) الرعد : ٣١ .

(٦٨) معاني القرآنوإعرابه : ١ / ٣٧٢ ، والبيت للبيد بن ربيعة العامري في معلقته ، ينظر : شرح المعلقات السبع : الزوزني : ٩٢ .

(٦٩) هي قراءة علي ، وابن عباس ، وعكرمة ، وابن ملكية وآخرون ، معجم القراءات القرآنية : د،عبد العال سالم ،د، أحمد مختار: ٣ / ٢١٨ .

(٧٠) معاني القرآنوإعرابه : ٣ / ١٤٩ ، والبيت لسحيم بن وثيل اليربوعي : المعجم المفصل في شواهد العربية ،د أميل بديع يعقوب: ٧ / ٣٤٦ ، وينظر : الإعجاز البياني للقرآن : ٣٢١ .